

# إلى الطائف...

رسالة شعريّة

للأستاذ محمد عبدالغنى حسن



النبي العربي  
في طريقه إلى  
«الطائف»، وفي  
صحبه، وولاه زيد  
ابن حارثة - كما  
يروى القرظي  
وابن الأثير المؤرخ  
وكان الشهر يناير  
من سنة ٦٢٠  
ميلادية، والتلج  
الأبيض الناصع

يجلجل ذرا جبل غزوان، وهو أبرد مكان في الحجاز. وقد شهد

ومن أطلسى على الأزمة متى يحسها ويجد لها قلبه وعتقه مساً اليما.  
واكن هو لاء وأوائك لا يجروون، مع هذا، على السير بعيدا  
فيما يفكرون فيه، إذ لا يجدون الوسيلة الصحيحة لمعرفة الإسلام  
ولا يطمثون مع ذلك إلى هذا الدين مع ما يرون من سوء حالة المسلمين  
علينا إذا، أن تقرب هذا الدين، وأن نجعله لاطالين: عقيدة  
وأخلاقاً ونظاماً اجتماعياً، في كتاب قريب التناول ترجمه للغات  
جميعاً في الغرب والشرق، ثم نوزعه في أقطار الأرض كلها. بهذا  
وحده يستطيع أن يعرف الإسلام من يريد، وبهذا نكون أدينا  
واجباً لهؤلاء الحائرين وما أكثرهم، وللإنسانية كلها، لأن أكثر  
ما كتبه غير المسلمين عن الإسلام تعوزه الدقة أو الإنصاف.

إلى لأعرف ما يتطلب هذا العمل الضخم من جهود ومال،  
ولكنني اعتقد أن مع الإرادة الطيبة تستطيع أن تصل منه إلى ما تريد  
إن شاء الله الذي يوفى للخير ويمين عليه. وعندنا من رجال  
الأزهر والجامعة من يحتاج إليهم هذا العمل تأليفاً وترجمة ولنا  
من ذوى النعمة الطويلة واليسار المربض من لا تؤودم الذكايف  
الماليّة.

ولعل فضيلة أستاذنا الأكبر شيخ الجامع الأزهر ينشرح صدره  
لهذا العمل فيتعهد الجميع في الهدية له وإعداد المدة لتنفيذه؛ والله  
يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. محمد يوسف موسى

هذا العام وفاة اثنين من أعز أنصار النبي: عمه أبي طالب الذي  
كان يدفع عنه أذى المشركين، وزوجه خديجة أم المؤمنين التي  
وقفت بجانبه أربعة وعشرين عاماً وستة أشهر. ولم يبق له من  
أوقى الأوفياء إلا مولاه وربيبه زيد بن حارثة.

زيد:

يا نبي الهدى تلوح لمني قفة كلات ببيض الثلج  
هي في الطائف الذي يتحلى بالروابي، رزدمى بالمرين  
قفة أشرفت على السهل والحز ن كإشراف شاهقات البروج  
قد خرجنا بها إلى الله نبي نصرته في سبيل هذا الخروج  
إن في الراحة الخصبية مأوى للطلاب، وراحة للحدوج،  
محمد:

هيا بنا إلى أشرف تقيف في «الطائف» ندعوم إلى الله!

زيد:

الله جارك حين تنتقل والله جارك حين ترتحل  
يا ضاربا في الصبر أمثلة بك في الشدائد يضرب المثل  
هان الطريق فسر عليه كما سارت على أشواك الرسل!  
هذا سبيلك غير ذي عوج حاشاك ما ضلت بك السبل  
المشركون عليه تصدنا منهم لحاظ الكيد والقتل  
الله جارك لا تخف أحدا والله حبيبك أيها البطل  
هذي «تقيف» وتلك أربعها فقلها بهداك تمتثل...  
طال الطريق على غوايتها ومضت بها آباؤها الأول  
فقلها تهفو إليك كما تهفو إلى أعطانها الإبل!

وهنا يمرج النبي على جماعة من أشرف تقيف ويدعوم  
إلى الإسلام فيجيبه واحد منهم:

رجل من تقيف:

يا راحلا من بطن مكة بيتني في ذلك الوادي الخصب فكاكا  
هل جئت تنشر في تقيف دعوة أم جئت تصد بيننا الأهلاك؟  
دعها وما أفتت من آباؤها وارك لها الأزمار والاشواكا  
هي رحلة لا ترج منها نصرة أجهدت في وعت الطريق خطاكا  
لو كان ربك مرسلا أحدنا أفأراى من مرسله سواكا؟

وهنا تذهب الجماعة في قهوة مدوية وترسل شكايتها عالية،  
فيقوم آخر منهم ويقول:

رجل آخر من ثقيف : -

إن كنت تحمل حقا رسالة قدسية  
فأنت أعظم قدرا - من أن ترد التحية  
وإن تخرست كذبا على إلام البريه  
فأنت أهون شأننا من خوضنا في القضية

وتستمر الجماعة الضالة الهازئة في سخكاتها ، وهم يسبون النبي  
ورمونه بالحجارة ويمسيحون به . فيقوم واحد منهم ، ويتجه إلى  
جماعة من العميد والسفهاء يفرهم به قائلا .  
تقني ثقات . -

ما بثقيف حاجة إلى الدعوى والكذب  
أيقصد المغلوب في مكة بيننا الغلب ؟  
عجيبه منه تنير في نفوسنا العجب ا  
ما لافسني وللرسالات لدينا والكتب  
سيفسد الأمر عليكم - كم بالحديث والخطب  
فأنا في دينه شأن ولا لنا أرب  
الخير كل الخير في رمان ( وج ) والعنب  
نمتصر الحجرة منه - في أباريق الذهب

وهنا يكرر الثقيان والسفهاء هذا البيت الأخير ، ثم يستمرون  
في عربدتهم وسخفهم ، حتى يلجئوا النبي إلى حائط ، وقد أدوا  
رجليه ... فحين يرجع عنه السفهاء ويمسيه بمض الاطمئنان  
يتجه إلى ربه قائلا .

محمد :

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على  
الناس ، اللهم يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى .  
إلى من تكأني ؟ إلى سيد يتجهمني ، أو إلى عدو ملكته أمرى ؟  
إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي . ولكن عافيتك هي أوسع .  
إني أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات وصاح عليه أمر  
الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو تحملي بي سخطك ا  
لك العتيبي حتى ترضى ، لا حول ولا قوة إلا بك »

وهنا يرى عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة ما حل بالرسول فتتحرك  
الشفقة عليه في قلبيهما ، ويدعوان غلامهما النصراني واسمه  
« عداس » ، قائلا : له :

عتبة وشيبة :

عداس خذ عني من بعض كرمتنا  
وأعطه - في حنان - ذلك الرجل ا  
إنا نرى الجوع يبدو من نواجذه ا  
فما تباع من زاد ولا أكلا  
إن الروة تأتي أن مجموعه

وأن يقال : غريب بيننا هزلا ... ا  
ثم يذهب « عداس » إلى النبي ويضع طبن العنب بين يديه  
فيبدأ النبي يلتقط حبة منه قائلا . باسم الله . فينظر « عداس » إلى  
وجهه ثم يقول  
عداس . -

هذا كلام لم يقله - الناس في هذا البلد  
ولم أكن اسمه - ولم يدري في خلد ... ا  
هذا كلام واحد يسبح الله الأحدا  
فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم

محمد :

ومن أهل أى البلاد أنت يا عداس ؟ وما دينك ؟

عداس :

أنا من « نينوى » ودينى دينى ينتمى للمسيح عيسى بن مريم

محمد :

أمن قرية الرجل الصالح بونس بن متى ؟

عداس :

بونس الصالح بن متى ؟ أجبني كيف ندري بأمره كيف تعلم ؟

محمد :

ذلك أخى كان نبيا ، وأنا نبى ا

وهنا يكب « عداس » على رأس الرسول يقبلها ويقبل يديه  
ورجائه ، فيراه سيدها عتبة وشيبة . فيقولان له حين يرجع إليهما .

عتبة وشيبة :

ويك يا عداس ما هذا بفعل طيب  
ماذا الذى صنعته مع الغرب الأجنبى  
قبلت منه رأسه وزدت تحت الرك  
فما الذى أيقته لجدتنا من أدب ؟  
وما الذى عادلنا فى قومنا من أرب